الفصل الأول

مشكلة البحث وخطة دراستها

الـفصــل الأول
مشكلة البحث وخطة دراستها

يتناول هذا الفصل النقاط التالية:

مقدمه

الإحساس بالمشكلة

تحديد المشكلة

أهداف البحث

تحديد المصطلحات

حدود البحث

خطوات البحث وإجراءاته

أهمية البحث

الفصل الأول
مشكلة البحث وخطة دراستها

يتضمن هذا الفصل عرضاً لمشكلة البحث الحالى وخطة دراستها والتساؤلات البحثية الرئيسية والفرعية وأهم إجراءات وخطوات الإجابة عنها.

أولاً: مقدمه

ترتبط الفلسفة بحياة الأفراد ومشكلاتهم الحياتية وتساؤلاتهم اليومية، فلا يقتصر اهتمام الفيلسوف علي التساؤلات والمسائل المهنية الخاصة به، بل يفكر فى تساؤلات الفرد العادى ويقدم حلولاً لها، فلن يفيد الإنسان العادى ذلك القدر الكبير من الفلسفة النظرية المجردة، فهو فى أشد الاحتياج لأن يتعلم كيف يكون إنساناً فى المجتمع الذى يعيش فيه وكيف يتصرف أمام كافة المواقف والمشكلات الحياتية التى تواجهه .

وتتضح أهمية مادة الفلسفة بما تتناوله من قضايا ومشكلات جدلية ذات طبيعة خاصة، فهى تختلف عن المناهج الدراسية الأخرى لأن الهدف منها لا ينحصر فى تقديم وتلقين المعلومات الفلسفية وإنما تتجه إلى تدريب الطلاب على التفكير، والجدل العقلى والمناقشة والحوار من خلال طرح المشكلات الفلسفية التى تحفز العقول على التفكير، دون مجرد سرد حقائق ثابتة . (أميرة جمال الدين: ١١)

لذا فمن المهم أن يدرس الطالب مادة الفلسفة لأن واقع حياته مليء بمتغيرات ومتناقضات عديدة يجب أن يقف منها موقف الناقد المدقق الذى يحسن اختياراته ويتخذ قراراته، وهذا ما يمكن أن تسهم فى تحقيقه مادة الفلسفة لأنها تمكنه من تحليل المواقف الفلسفية المختلفة، وتقييم الحجج المنطقية، وإصدار الأحكام ونقد الأفكار... وغيرها من المهارات الأخرى المهمة للفرد فى العصر الراهن والتى تندرج تحت نطاق التفكير الناقد.

يعتبر التفكير الناقد من أرقى عمليات التفكير العليا، ويعد من أشكال التفكير الهامة التى يلجأ إليها الفرد فى كثير من المواقف الحياتية والمشكلات التى تتطلب الفهم والتقييم واتخاذ القرار المناسب تجاه المشكلات.

وهناك من الدواعى والمبررات ما يشير لضرورة تنمية التفكير الناقد لدى الطلاب ولعل من أهم هذه المبررات:

- أن تنمية التفكير الناقد ضرورة ملحة لتكوين العقلية الناقدة المبدعة .
- تدريب الطلاب على مهارات التفسير والتحليل والاكتشاف والتعامل مع بيئة سريعة التغير وهذا يتطلب تصميمات جديدة للتعليم والتعلم.
- يسهم فى تكوين الشخصية الناقدة وهى ضرورة ملحة تحتمها روح العصر بصفة عامه وظروف المجتمع المصرى وتوجهاته بصفة خاصة. (أميمة محفوظ: ٢٢)

* تتبع الباحثة فى كتابة المراجع ذكر اسم المرجع ورقم الصفحة.

ويرى الكثير من الفلاسفة أن قيمة الفلسفة لا تتمثل فيما تقدمه من معرفة يقينية، وإنما تكمن قيمتها فيما تحمله من قيم فكرية وأخلاقية. فالفيلسوف الإنجليزي "راسل" يؤكد أن قيمة الفلسفة تتمثل بالأساس فى كونها تجعلنا نتجاوز كل ما يرتبط بالمصالح الشخصية الضيقة، لأن التأمل الفلسفي يتميز بالحرية والنزاهة والحياد وهي خصائص ينبغي تمثلها في تصرفاتنا وأفعالنا من خلال العدل والحب لكل الناس. ويصل "راسل" إلى نتيجة مفادها أن الفلسفة تستحق أن ندرسها لا من أجل البحث فيها عن أجوبة دقيقة، ولكن لأجل قيمة الأسئلة التي تطرحها والتي تقوم بتوسيع تصوراتنا وإثراء فكرنا وعقلنا والتقليل.(أنور حسين:٢٨)

وفى رأى الباحثة لا يمكن أن يستفيد الطالب من دراسة الفلسفة مع الاستمرار فى تدريسها باعتبارها مادة منفصلة وغير متكاملة مع فروع المعرفة الأخرى، حيث أشارت بعض الدراسات السابقة مثل(إلهام عبدالحميد، ٢٠٠١)(محمد زيدان، ٢٠٠١)(سعاد فتحى، ٢٠٠٢)(صباح أمين، ٢٠٠٣)(ولاء غريب، ٢٠٠٦)(سليم عبد الرحمن، ٢٠٠٦)(دعاء عبد الحي، ٢٠٠٧)(صفاء عبد الجواد ،٢٠١٢)] إلى وجود قصور بمنهج الفلسفة بالمرحلة الثانوية، كما أوضحت هذه الدراسات أن مادة الفلسفة باعتبارها مادة مجردة، وتتضمن مجموعة من الأفكار والآراء ووجهات النظر لكبار الفلاسفة حول قضايا ومشكلات قديمة تم بحثها فى عصور مضت بمعزل عن تطبيقاتها، وارتباطها بحياة الطلاب المعاشة، وقد أوصت هذه الدراسات بضرورة تبنى مداخل حديثة فى بناء وتطوير مناهج الفلسفة تحقق وحدة وتكامل المعرفة، ويراعى الطبيعة الميزة لعصر التعقد، ويُنظر للفلسفة ليس باعتبارها سلسلة من المنتجات والأطروحات الفكرية النهائية، بل باعتبارها طريقة ومنهج منظم فى التفكير يهدف إلى تدريب الطلاب على تحليل وفحص ونقد المعرفة التى يدرسونها دون حفظها، لذا فلابد من تبنى مداخل تربوية حديثة فى بناء مناهج الفلسفة ولعل واحد من أهم هذه المداخل مدخل التكامل المعرفى ووحدة المعرفة .

ويعتمد مدخل التكامل على إزالة الحواجز التقليدية التى تفصل بين جوانب المعرفة، مما يتيح للمتعلم اكتساب المفاهيم الأساسية التى توضح له وحدة المعرفة ودورها فى حياته اليومية، كما أن التكامل نظام مأخوذ من الحياة ويمكن ملاحظته فى المجتمع فى تكامل الوظائف والحاجات والأهداف، كما يمكن أن نلاحظه فى حياة الطالب، فى تكامل حاجاته الاجتماعية والبيولوجية، كما أن التكامل فى تخطيه للحدود بين المواد يعنى بالقيمة الاجتماعية لما يقدم للطلاب، وفى التكامل يخرج الطالب بمعلومات متكاملة نتيجة لما يقوم به من بحث وسعى للحصول على المعلومات والقراءات المتعددة حول موضوع الدراسة، وبذلك يخرج الطالب بخبرات مترابطة وليست مجزأة . (فتحى يوسف: ٨٩،٩٠)

فرغم الزعم بأن الفلسفة صارت مجرد وعاء قديم لشتات من المعرفة التى لا جدوى منها بالمقارنة بما حققه العلم من انجازات هائلة أفادت البشرية، ولا حاجة لتدريسها، إلا أنه يمكن القول بأن العلم لا يزال فى حاجة إلى الفلسفة، وإلى التكامل معها، نظراً لأن هناك من الموضوعات والقضايا الأخرى المهمة ففى حياة الفرد والمجتمع، ما لا يمكن لتدريس العلوم وحدها أن تنجزها، وإنما تعد من صميم عمل الفلسفة، فتدريب الطلاب على البحث فى أصول العلم، والأسس المنهجية له، والاستباق إلى ما يمكن أن تقضى إليه نتائجه بالمستقبل، وإتخاذ القرارات الإنسان والأخلاقية إزاء المشكلات والقضايا المختلفة، بجانب استشراف الأهداف المستقبلية للإنسانية، كلها نواتج تعلم منشودة يقع فى نطاق أهداف وغايات تدريس الفلسفة، وتحتاج إلى تحقيق التكامل بين تدريس الفلسفة وفروع المعرفة الأخرى كالفيزياء والأحياء والتاريخ والاجتماع.(ريتشارد شاخت: ٣١)

هذا وتوجد فوائد عديدة لتبنى مدخل التكامل عند بناء المناهج المختلفة منها:

- تراعى فى فلسفتها، وبنائها، وتوجهاتها، ربط المحتوى العلمى بالمجتمع، وتوظيفه لخدمته.
- تساعد على تعلم المفاهيم العلمية بشكل أسهل وأيسر، وذلك لأنها تدرس بشكل متكامل وليس متجزئ.
- تلبى خصائص المتعلمين والدارسين النفسية، وحاجاتهم المختلفة فى مجال المعرفة، والاكتشاف كل حسب قدراته وإمكاناته.
- توفر فرصة أفضل لممارسة مهارات التفكير العلمى.
- تمنح المتعلمين الفرصة لإدراك مدى الترابط بين فروع المعرفة العلمية والشعور بوحدة المعرفة، ومدى ارتباطها وتأثيرها بحياة الفرد. (رائد جمال: ٣)

وفى ضوء الأهمية المتصاعدة لمدخل التكامل أشارت عدد من الدراسات مثل: {(يسرى عبد الغنى:٢٠٠٢)(منير إسماعيل:٢٠٠٤) (أمل توفيق:٢٠١٢) (إيمان محمود:٢٠١٢)(هند محمد:٢٠١٥) (Renate &Geoffrey: 1997) (Kbiibnik)} (Mccullar Kent: 1998) (Chris& Peter :2000 Michal:1998)، إلى أهمية مدخل التكامل فى بناء المناهج، إذ هدفت هذه الدراسات إلى توظيف مدخل التكامل فى الربط بين العلوم الإنسانية وتطبيقها فى البيئة ليصبح الفرد أكثر واقعية ونفعاً للمجتمع، ومن ثم تبرز الحاجة إلى تحقيق التكامل بين الفلسفة وفروع المعرفة الأخرى.

وفى ضوء ما سبق يمكن القول أنه رغم أهمية تبنى مدخل التكامل فى بناء مناهج الفلسفة إلا أن مادة الفلسفة لا يزال ينصب تركيزها على سرد مجموعة من المعلومات والأفكار والنظريات الفلسفية التى أنتجها فلاسفة

من العصور الماضية، ويصعب استفادة الطالب منها، ومحاولة تطبيقها فى واقعة المعاش، ويضعف ما يتضمنه المحتوى من قيم فلسفية مهمة كالنقد، والحوار، والشك، والاستقلال الذاتى، وحب الاستطلاع .

كما أن المنهج لا يعكس التكامل فى بناءه وتنظمه بين الفلسفة والفروع الأخرى للمعرفة كالفيزياء والأحياء والتاريخ والاجتماع، وهذا ما يؤثر على إكساب الطلاب لمهارات التفكير الناقد، ومن ثم يضعف قدرتهم على تحليل القضايا وتقييم الحجج المنطقية، وإصدار الأحكام والنقد... وغيرها من المهارات الأخرى الهامة للفرد فى العصر الراهن.

ثانياً: الإحساس بالمشكلة

فى ضوء ما سبق، يمكن القول أن هناك بعض أوجه القصور المتعلقة بمنهج الفلسفة بالمرحلة الثانوية. يمكن إجمالها فيما يلي:

- لا يزال يركز محتوى منهج الفلسفة على سرد المعلومات والأفكار الفلسفية التي أنتجها فلاسفة من العصور الماضية، ويصعب استفادة الطالب منها، ومحاولة تطبيقها في واقعه المعاش، ويضعف ما يتضمنه المحتوى من قيم فلسفية مهمة كالنقد، والحوار، والشك، والاستقلال الذاتي، وحب الاستطلاع .
- لا يوضح محتوى المنهج طبيعة التكامل بين الفلسفة والعلم، وأهم الوظائف التي تقوم بها الفلسفة لخدمة العلم، ولا يوجه الطالب إلى كيفية بحث وتحليل وتقييم موضوعات، ومفاهيم ونظريات العلم، وما تثيره من مشكلات وقضايا معاصرة يعيشها الإنسان في الوقت الراهن بطريقة تكاملية تبرز الأهمية التربوية لمادة الفلسفة من حيث إنها منهج في التفكير وليس مجموعة من الأفكار ووجهات نظر الفلاسفة(إلهام عبدالحميد: ٨٥).الأمر الذي جعل محتوى منهج الفلسفة أقرب إلى محتوى في تاريخ الأفكار والنظريات الفلسفية وليس محتوى يدرب الطلاب على مهارات البحث والنقد والتحليل والاستنتاج..إلخ.
- لا تزال طرق وأساليب تدريس الفلسفة تتمركز حول التلقين والإلقاء والحفظ، فيشير (محمد زيدان:٢٠٠٦) إلى أن ثمة تركيزاً على المعرفة الفلسفية التي تقوم على التلقي السلبي، وأن المشكلة الرئيسية التي تعاني منها مادة الفلسفة هي وجود فجوة بين محتوى منهجها وأسلوب تدريسها من ناحية، وبين الخبرة التي يحتاج إليها طالب المرحلة الثانوية من ناحية أخرى(إلهام عبد الحميد: ٢٤)، فكثير من معلمي الفلسفة يركزون اهتمامهم على الجانب المعرفي ويهملون الجوانب الأخرى(عفاف سعد: ٤٧)، دون إفساح المجال للطلاب لتطبيق ما يتعلمونه في مواقف الحياة المعاشة.

وانطلاقاً من ذلك يسعى البحث الحالى إلى تطوير منهج الفلسفة بالمرحلة الثانوية فى ضوء مدخل التكامل المعرفى وذلك لتنمية مهارات التفكير الناقد والقيم الفلسفية لدى الطلاب الدراسيين لها. علماً بأنه فى حدود علم الباحثة لم تقع دراسة من قبل لتحقيق ذلك.

ثالثاً: تحديد المشكلة

تتحدد مشكلة البحث الحالى فى ضعف مهارات التفكير الناقد والقيم الفلسفية لدى طلاب المرحلة الثانوية، نظراً لبعض أوجه القصور المتعلقة بمنهج الفلسفة الحالى، مما يستوجب البحث عن رؤى واتجاهات حديثة تسهم فى تطويره حتى تتحقق أهداف تدريسه.

وللتصدى لهذه المشكلة يحاول البحث الحالى إلى الإجابة عن السؤال الرئيسى التالى:

كيف يمكن بناء برنامج فى الفلسفة بالمرحلة الثانوية فى ضوء مدخل التكامل المعرفى لتنمية مهارات التفكير الناقد والقيم الفلسفية لدى طلاب المرحلة الثانوية؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية :

١. ما مهارات التفكير الناقد المناسبة لطلاب المرحلة الثانوية؟
٢. ما القيم الفلسفية المناسبة لطلاب المرحلة الثانوية؟
٣. ما أسس بناء برنامج الفلسفة فى ضوء مدخل التكامل المعرفى لتنمية مهارات التفكير الناقد والقيم الفلسفية لدى طلاب المرحلة الثانوية؟
٤. ما صورة البرنامج فى الفلسفة فى ضوء مدخل التكامل المعرفى فى دراسة الفلسفة لتنمية مهارات التفكير الناقد والقيم الفلسفية لدى طلاب المرحلة الثانوية؟
٥. ما فاعلية البرنامج فى تنمية مهارات التفكير الناقد والقيم الفلسفية لدى طلاب المرحلة الثانوية؟

رابعاً: أهداف البحث

يهدف البحث إلي تحقيق ما يلي :

١) قياس فاعلية برنامج فى الفلسفة قائم على مدخل تكامل المعرفة فى تنمية مهارات التفكير الناقد والقيم الفلسفية.
٢) تنمية مهارات التفكير الناقد وبعض القيم الفلسفية لدى طلاب الصف الأول الثانوى.

خامساً: تحديد المصطلحات

تُعرف الباحثة المقصود بمصطلحات البحث الحالى تعريفاً إجرائياً فيما يلى:

تكامل المعرفة

إزالة الحواجز الفاصلة بين محتوى الفلسفة والمجالات المعرفية الأخرى مثل الفيزياء والتاريخ والكيمياء والعلوم والجغرافية والاجتماع وللارتباط الوثيق بين مجالات المعرفة الإنسانية وتوظيفها فى الحياة.

التفكير الناقد

قدرة الطالب على تفسير المعلومات، والتعرف على الإفتراضات واستخلاص النتائج بطريقة منطقية سليمة، وتقويم الحجج المتعلقة بالقضايا الفلسفية الموجودة فى المحتوى المدرسى المختار للبحث.

القيم الفلسفية

يقصد بها مجموعة من التوجهات الفكرية والسلوكية التى تحدد أقوال الإنسان وأفعاله وقدراته وأحكامه إزاء المواقف والمشكلات الإنسانية والكونية المختلفة، والتى تتحدد من خلال الظروف الموضوعية والطبقة الاجتماعية ودرجة ثقافة الإنسان مضافاً إليها تراثه القيمى.

سادساً: حدود البحث

يقتصر البحث الحالى على عينة من طلاب الصف الأول الثانوى، بمحافظة القاهرة التى تعد بيئة تعليمية ممثلة لبيئات مصر المختلفة، وقد اختير الصف الأول تحديداً، حيث بلغ الطلاب مرحلة مناسبة من النضج العقلى، وتكونت لديهم خلفية علمية مناسبة، واختير عينة البحث من مدرسة "فاطمة الزهراء الثانوية بنات" بإدارة حدائق القبة التعليمية بمحافظة القاهرة.

سابعاً: خطوات البحث وإجراءاته

سوف يسير البحث للإجابة عن تساؤلاته وفقاً للخطوات والإجراءات التالية:

١) تحديد مهارات التفكير الناقد المناسبة لطلاب المرحلة الثانوية، ويتم ذلك من خلال:

- ⇐ الأدبيات والدراسات السابقة المتعلقة بالتفكير الناقد.
- ⇐ طبيعة وخصائص طلاب المرحلة الثانوية.
- ⇐ استطلاع رأى الخبراء والمتخصصين.

٢) تحديد أسس بناء برنامج فى الفلسفة فى ضوء مدخل التكامل لتنمية مهارات التفكير الناقد، والقيم الفلسفية لدى طلاب المرحلة الثانوية، ويتم ذلك من خلال:

- ⇐ ما تم التوصل إليه فى الخطوة السابقة.
- ⇐ الأدبيات والدراسات السابقة التى تناولت مدخل التكامل المعرفى.
- ⇐ الأدبيات والدراسات السابقة التى أهتمت بتنمية مهارات التفكير الناقد.
- ⇐ الأدبيات والدراسات السابقة التى أهتمت بتنمية مهارات القيم الفلسفية.

٣) بناء البرنامج فى ضوء مدخل التكامل لتنمية مهارات التفكير الناقد، والقيم الفلسفية لدى طلاب المرحلة الثانوية ويتم ذلك من خلال:

⇐ تحديد أهداف البرنامج.

⇐ تحديد المحتوى العلمى للبرنامج.

⇐ اختيار استراتيجيات التعليم والتعلم المناسبة.

⇐ إعداد الأنشطة التعليمية، ومصادر التعلم المناسبة.

⇐ إعداد أدوات تقويم البرنامج (اختبار مهارات التفكير الناقد، مقياس القيم الفلسفية).

٤) قياس فاعلية البرنامج، وذلك من خلال:

⇐ اختيار عينة من طلاب الصف الأول الثانوى بالمرحلة الثانوية .

⇐ تطبيق أدوات البحث على المجموعة التجريبية قبل تدريس البرنامج .

⇐ تدريس المنهج المطور لطلاب المجموعة التجريبية.

⇐ تطبيق أدوات البحث على المجموعة التجريبية، بعد تدريس المنهج المطور.

⇐ استخراج النتائج وتفسيرها، ومناقشتها.

⇐ وضع توصيات ومقترحات البحث.

ثامناً: أهمية البحث

من المتوقع أن تتمثل أهمية البحث فيما يقدمه لكل من:

- **مخططى المناهج:** قد يساعد هذا البحث المخططون فى بناء مناهج الفلسفة بالمرحلة الثانوية فى ضوء مدخل التكامل .
- **المعلمين:** قد يوجه هذا البحث المعلمين إلى كيفية ربط مادة الفلسفة بفروع المعرفة الأخرى كالفيزياء والتاريخ والاجتماع والعلوم من خلال المنهج المطور الذى يعتمد على مدخل التكامل.
- **الطلاب:** قد ينمى مهارات التفكير الناقد ومهارات القيم الفلسفية لدى طلاب الصف الأول الثانوية.
- **الباحثين:** يوجه الباحثين إلى اتجاهات حديثة فى تطوير تدريس ومناهج الفلسفة.

الفصل الثاني

مدخل تكامل المعرفة

الفصل الثاني

مدخل تكامل المعرفة

يتناول هذا الفصل ما يلى:

أولاً: المعرفة

ثانياً: مدخل تكامل المعرفة

ثالثاً: المداخل والاستراتيجيات وأساليب التدريس فى ضوء مدخل تكامل المعرفة

رابعاً: فلسفة العلم Philosophy Of Science كنموذج لمدخل تكامل المعرفة بين الفلسفة والعلم

الفصل الثانى
مدخل تكامل المعرفة

تسعى الباحثة من خلال هذا الفصل إلى تحديد أسس بناء برنامج فى الفلسفة قائم على مدخل تكامل المعرفة. لذلك تتناول الأبعاد التالية:

أولاً: مفهوم المعرفة

ففى بداية وجود الإنسان الأول لم يكن يطلب علما، إنما كان يبحث عن معرفة تؤمن له حياته واستمرار وجوده. فكانت معرفة من اليد إلى الفم كما يصفها جون ديويJohn Dewey. كانت معرفة براجماتية Pragmatism تستثمر التفاعل بين الإنسان والبيئة، من أجل استمرار الحياة ومقاومة عوامل الفناء التى كانت تحيط به من كل جانب، وذلك من خلال زيادة مظاهر الرفاهية وتقليل عوامل الضرر والفناء. فالتفكير الإنساني محكوم بالحاجة التى تحدث فيه توتراً، يدفعه ذلك التوتر للبحث عن وسائل وطرق لتقليل من شدته، وذلك من خلال تلبية تلك الحاجات ومحاولة سدها أو إشباعها. فكانت المعرفة واقعية قبل أن تكون نظرية، وإلى جانب كونها ذات طابع اجتماعي، فهى معرفة تاريخية ارتقائية تسير من الجهل إلى المعرفة، وهى بذلك تغتني وتطور تاريخياً. فالمعرفة الإنسانية معرفة جدلية ديناميكية تراكمية ارتقائية.

وبذلك فان المعرفة سبقت العلم، فالإنسان لم يكن فى بداية وجوده يبحث عن كيفية حدوث الظاهرة، وما هى أسبابها؟ بقدر ما كان يبحث عن ما توفره له هذه المعرفة من مطالب وحاجات توثر تأثيراً مباشراً على بقاءه. وبذلك أصبح البحث عن الأسباب والكشف عن العلاقات وإدراكها قيمة ثانوية أو ضربا من الرفاهية التى لا فائدة منها، إذ لم تكن معرفة القوانين الطبيعية والجزم بصدقها من عدمه من الأولويات المطروحة فى سياقات حياته وتفكيره، بل كانت هذه المعرفة بالنسبة له مجرد وسيلة لاستمرار وجوده. (أحمد على: ٧٠)

فالمعرفة هى إدراك الأشياء وتصورها، وهى تستعمل فى التصورات، بينما يستعمل العلم فى التصديقات. لأن من شروط العلم أن يكون محيطا بأحوال المعلوم إحاطة تامة. إذ أن للعلم شروطا لا تتوافر فى كل معرفة، فكل علم معرفة وليس كل معرفة علما. وطالما أن المعرفة من نتاج العقل البشري فإنها خاضعة للطريقة التى يدرك بها هذا العقل تلك المعلومات. فالإنسان يدرك من خلال نسق من تحيزاته وتعصباته ومن خلال ميوله وخبراته السابقة (إطاره المرجعي).

المعرفة "اسم مشتق من الفعل" يعرف "وتشير إلى القدرة على التمييز أو التلاؤم، وهى إذن كل ما هو معرف أو ما هو مفهوم، والمعنى أن الرصيد المعرفى الناتج من حصيلة البحث العلمي والتفكير الفلسفى والدراسات الميدانية والتطوير والمشروعات الابتكارية وغيرها من أشكال الإنتاج الفكري للإنسان عبر الزمان تتمثل جميعها فى الرصيد المعرفى أو الكم المعلوم القابل للاستخدام فى أي مجال من المجالات.(السيد عبدالعاطى: ٧٧)

أنواع المعرفة الإنسانية

رغم أن المعرفة الإنسانية فى مجملها متكاملة، إلا أن بعض العلماء صنفوا المعرفة إلى تصنيفات مختلفة منها ما يلى:-

← المعرفة الحسية Sensuous knowledge

هى من أقدم أنواع المعرفة الإنسانية، وأبسط وسيلة لاكتساب تلك المعرفة وأسهلها استنتاجا وملاحظة، تتمثل هذه المعرفة بالإدراك الحسي، إذ تعتمد أصلا على الحواس والخبرة اليومية التى لا تحتاج إلى حجج وبراهين تدعم وجودها وتعزز مكانتها وتؤيد أفكارها وحقائقها. فالإنسان يستخدم حواسه المختلفة كأدوات للاتصال بالمحيط الذي يعيش فيه، حيث يقوم بنقل المعلومات التى تصله من خلال حواسه إلى الدماغ باستخدام العديد من العمليات والفعاليات والتى تنحصر فى ملاحظة الظواهر دون أن يوجه اهتمامه للبحث عن إيجاد صلات أو العلاقات التى تربط فيما بينها، أى إنها معرفة عادية يومية قائمة على الخبرة والمران. يشير جان بياجيه Piaget إلى أن أدوات المعرفة الأولية ليست الإدراكات ولا اللغة، إنما هى الأفعال الحسية- الحركية، فهذه تهيمن منذ البداية على الإدراكات، ولا تلفظ فى مفهوم، ولا ستتدخل كعمليات فكرية إلا فيما بعد بكثير. (فؤاد زكريا: ٤٤)

فالإدراك الحسي يعرف بأنه قدرة المرء على تنظيم التنبيهات الحسية الواردة إليه عبر الحواس المختلفة، ومعالجتها ذهنيا فى إطار من الخبرات السابقة والتعرف عليها وإعطائها معانيها ودلالاتها المعرفية المختلفة.

لذا لم ترتقي هذه المعرفة بالإنسان إلى مراتب البحث أو البحث العلمي عن الأسباب التى تقف وراء تلك الظواهر أو معرفة العلاقات والروابط التى تربط بينها، وذلك لعدم قدرة هؤلاء الأفراد على إدراك تلك العلاقات. وبذلك فهم لا يستطيعون ممارسة التفكير المجرد بعيدا عن تشكيل أو تجسيم ما يفكرون به، لذا فهم يسعون إلى محاولة تجسيد الشيء (أى إعطائه شكل أو هيئة ما) من أجل إدراكه، أى يجب أن تدرك حواسنا ذلك الشيء من خلال إصباغ صفات أو خصائص مادية تستطيع حواسنا إدراكها. وبذلك تنوعت واختلفت تلك المعارف نتيجة لاختلاف وتنوع الحواس ودرجة سلامتها ودقتها، ولاختلاف الظروف التى تحدث فيها هذه الخبرات. وبذلك كانت هذه المعرفة نسبية غير ثابتة. وعليه لا يمكن التسليم بوجود حقيقة ثابتة نتيجة لتباين الأفراد فى قدراتهم الحسية وأن توفرت تلك الحقائق موضوعياً.

هذه المعرفة أكثر انتشاراً وتداولاً بين الناس، فقد توصل إليها الإنسان نتيجة لمشاعر الخوف الناتجة عن عدم فهمه للكثير من الظواهر الطبيعية والاجتماعية التى يمر بها فى حياته التى يعيشها. إضافة لحاجته لتحقيق الأمن، والتعرف على أماكن الخطر التى تهدد حياته، والبحث عن مصادر الطعام. وبناءاً على ذلك يكون الإنسان بأمس الحاجة لها فى حياته اليومية والعملية، وذلك لقدرتها على تفسير الظواهر والحوادث والملابسات التى تقع يومياً فى المجتمع والبيئة التى يعيشها فيها. ولبساطة مكوناتها وعناصرها التركيبية وسهولة الوصول إليها، مما جعل

ذلك الأفراد مستعدين لقبولها والالتزام بنصوصها وتعاليمها. علماً بأن هذه المعرفة سريعة التغير بين فترة وأخرى بسبب تغير الظروف الطبيعية والاجتماعية، كما إنها تختلف من مجتمع إلى آخر، وهى لا ترتقي إلى مستوى التحقق العلمي ولا تؤدي إلى معرفة العلاقات القائمة بين الظواهر والمتغيرات المختلفة وأسباب حدوثها. وبالرغم من ذلك فإنها واسعة الانتشار وخاصة بين الفئات المحرومة من التعليم والتطور الثقافى والمعرفى والحضاري.(طه عبدالعاطى: ١١، ١٤)

← المعرفة الميتافزيقية Metaphysical Knowledge

الميتافزيقيا يشير إليها إيمانويل كانط Immanuel Kant على إنها ميل إنساني أولاً. فالإنسان يمتلك خاصية غريبة هى أن ذهنه مثقل بالأسئلة التى تمليها علية طبيعة الإنسانية، ولكنه لا يجد لها إجابات وافية، حيث أن قدراته العقلية ضئيلة أمام تلك الإجابات المصيرية. لذا سعى إلى تبني تفسيرات لا ترتبط بحقائق واقعية ملموسة. وذلك حينما عجز عن تجسيد تلك الظواهر حسيا لكي يتمكن من إدراكها، وبذلك فأنه سعى لتبنى أسساً غير عقلانية وغامضة نابعة من خياله الخصب والثري. ونتيجة لذلك وقع فى شباك السحر والخرافة والأسطورة لكى يتلافى عجزه وضعفه أمام تلك الظواهر. (أحمد على:٧١)

وأولى تلك الخطوات التى تبناها هى أنه أسقط صفاته الإنسانية على تلك الظواهر، لذا فأنه أعتقد بحيوية الطبيعة وصورها بأنها تحس وتشعر وتحب وتكره وتنفعل وتتعاطف معه أو ضده، إضافة إلى أن لها غايات تسعى إليها. كما أنه تصور إحداث أو أشياء وفكر بها وربطها بروابط غير حقيقية، حيث يرى علاقات وروابط بينها لا تبدو للآخرين. فأنه يصطنع أو يختلق تلك الروابط والعلاقات بين الظواهر والتى لا تبدو هى المسببة، أو إنها قد تحدث صدفة أو بطريقة عشوائية، فيقيم بينها علاقة سببية تفتقر إلى علاقة فكرية مفهومة، ذلك ما أوصله إلى التفكير الخرافى. فالخرافةLegend هى الأفكار والممارسات والعادات التى لا تستند إلى تبرير عقلى، ولا تخضع لأي مفهوم علمي سواء من حيث النظرية أو التطبيق. (أحمد على:٧٧)

وتقوم السيطرة الخرافية على أسس نكوصيه Regression يتقهقر الإنسان الذي يؤمن بها من العقلانية التى يجب أن تميز حياة الراشدين إلى مرحلة الطفولة فى التفكير حيث يخلط الواقع بالخيال، والحقائق بالرغبات والأحلام، والصعاب المادية بالمخاوف الذاتية. من كل ذلك نشأت الخرافة والأسطورة. فالأسطورة Myth تنشأ عادة نتيجة الإلحاح الشديد من العقل على وجود تفسير مقنع لما يحيرنا من ظواهر كالزلازل والصواعق والبراكين والموت والمرض، مع النقص الشديد فيما بين أيدينا من حقائق علمية تتعلق بتلك الظواهر. فالأسطورة هى جزء من البناء النفسي والمعرفى للإنسان، وهى تعبير عن معتقدات الفرد أو المجتمع ذات الطابع الغيبي، والذي اكسبها قدسية هى نتيجة لارتباطها بالجانب الوجداني والعقلي لإنسان العصر الذي تعبر عنه، وقد ارتبط كل ذلك بالعقلية البدائية. وما يعزز ارتباطها بالجانب الديني أو تمثيلها له هو انه ومنذُ ظهور الدين المسيحي والإسلامي لم تشهد حياتنا الفكرية أو الأدبية ظهور أي نموذج أسطوري جديد يعبر عن روح هذا العصر الممتد من ظهور هاتين الديانتين ولحد الآن.

كما ارتبط تفكير الكثير من المصلحين بتلك المعرفة الميتافزيقية وذلك حينما يئسوا من تحقيق المثل الأعلى فى الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه لذا توجهوا إلى عالم الميتافزيقيا للتعبير عن ذلك. كما أن بعض الأفراد قد يجدون بعض المداخل ذات الصبغة العلمية غير المناسبة لتفسير ما لديهم من معتقدات، حيث أن هناك الكثير من المعتقدات لا يمكن اختبارها علميا، كما لا يمكن إثباتها أو إنكارها لذا يسعون إلى تلك المداخل العلمية لتفسيرها.

أن عجز الإنسان دفعه إلى التفكير الميتافزيقى(الخرافى) ففى الماضي كان هذا العجز معرفياً أما عجز إنسان هذا العصر، فهو عجزاً اجتماعياً حضارياً. فالمعرفة الميتافزيقية لم تكن حكرا على أفراد المجتمع البدائي، بل امتدت لتشمل المجتمع الحالي وتتسلل برفق إلى عقل إنسان هذا العصر لتقدم له الكثير من التفسيرات المنسوجة بالأوهام لما يحيره من ظواهر وخاصة ما يتعلق بمصيره ووجوده. فالمعرفة الميتافزيقية هى ردة فعل نتيجة للجهل والخوف من المجهول، متزامنة مع الاعتقاد بوجود قوى خفية لها التأثير على حياة الإنسان ومصيره مثل: السحرMagic والحظ Chance والتفاؤل Optimism والتشاؤم Pessimism.(طه عبدالعاطى: ٢٥)

← المعرفة الفلسفية Philosophical Knowledge

وتسمى المعرفة التأملية أو العقلانية. حيث يسعى الإنسان من خلالها للبحث عن الحقيقة فيما وراء المحسوسات. أى البحث عن الأسباب والعلاقات التى تحيط بالظواهر والأحداث ولكن بشكل تأملي منطقي بحت، ولكن دون استخدام التجارب أو المحاولات البحثية. هى معرفة عقلانية تحتاج إلى مستوى ذهني أعلى مما تتطلبه الحياة اليومية أو المعرفة الحسية والتجارب اليومية الاجتماعية.

فى هذه المرحلة يتميز الإنسان بقدرته على ممارسة الجدل والتفكير المنطقي، يلجا إليها حينما يدرك إنه لا يستطيع الإجابة عن الكثير من تساؤلاته بالتجربة الحسية المباشرة، وحينما تعجز تفسيراته الميتافزيقية على تقديم الإجابات الصحيحة أو الحفاظ على حياته. لذا تعتبر هذه المعرفة هى الأساس فى البناء الحضاري والفكري للإنسان والمجتمع، ولا تقتصر هذه المعرفة على العالم الطبيعي بل تتعداه إلى البحث فى مواضيع ما وراء الطبيعة. (طه عبدالعاطى:٨٥)

بالرغم من إنها تستخدم طرق القياس المنطقية فى بحثها. لذا فأن منبعها الفهم والعقل، وان العالم الحقيقي هو العالم الموجود فى الأفكار العامة والحقيقية، والتى لها وجود مستقل عن الإنسان، فالأشياء التى نراها جميعا ما هى إلا نسخ غير كاملة لمثل أزلية راسخة أو نماذج أصلية. فالعالم الذي نعيش فيه لا يمثل الحقيقة النهائية بل هو خيال للعالم الحقيقي. فالطبيعة الحقيقية للشيء لا توجد فيما تقدمه لنا الحواس من معلومات بل فى (المثل) الذي تنبع منه.

وهذا ما لا يمكن التوصل إليه إلا بالعقل وحده. وبذلك فإنها اعتمدت التفكير الاستنباطي المنطقي كوسيلة للوصول إلى الحقيقة. ومن أهم المسائل والموضوعات التى شملتها هذا النوع من المعرفة وحاولت الإجابة عليها:

- علم الوجود أو ما وراء الطبيعة.
- المسائل الأخلاقية.
- المسائل المتعلقة بنظرية المعرفة.